

المبحث الأول

الاستنارة والمستشرقون



## الاستشراق والمستشرقون

قبل أن نعرض للفكر الإسلامى فى نشأته وتكوينه وقبل أن نبحت فى أصوله وحركته ونتتبع تطوره وإمكانية ردوده على خصومه وقبل أن نصدر حكماً فى النهاية سلباً أو إيجاباً على قدراته نود أن نتعرف أولاً على من سبقنا فى هذا الميدان ونعرض لمختلف الاتجاهات فى هذه الدراسات التى تمت من جانب الباحثين سواء مستشرقين أوروبيين أو عرب مسلمين .

حقيقة لقد اهتم بدراسة الفكر الإسلامى بادئ ذى بدء المستشرقون فتناولوا تراثنا العربى والإسلامى بالبحث والكشف والصيانة والفهرسة ولم يقفوا عند هذا الحد بل عمدوا إلى دراسة هذا التراث وتحقيقه ونشره وترجمته والتصنيف فيه<sup>(١)</sup> . وزاد البعض فأصدر أحكامه عليه، وقد روج لها بالاتهامات الباطلة والافتراءات المضللة . وسميت هذه الحركة بالاستشراق، وقد خصصوا لها المعاهد والمطابع والمجلات وأصبح لها أثر كبير فى العالم الغربى والعالم الإسلامى على السواء، وإن اختلفت ردود الفعل على كلا الجانبين إلا أن الاستشراق أصبح يشكل شبكة المصالح الكلية التى يستحضر تأثيرها بصورة لا مفر منها فى كل مناسبة . . يكون فيها ذلك الكيان العجيب (الشرق) موضوعاً للنقاش<sup>(٢)</sup> .

وباختصار شديد فإن الاستشراق *orientalism* فى حقيقته هو العلم الذى اهتم بدراسة الشرق بكل ما فيه من علوم وآداب ولغات وحضارة وأديان<sup>(٣)</sup> .

والمستشرقون *orientalists* هم هؤلاء الباحثون الغربيون الذين لفت نظرهم علوم هذا الشرق فاهتموا بمعرفة لغته ودراسة أدبه والتعرف على أديانه وإصدار الأحكام على هذه العلوم والأديان حتى أنهم انشغلوا بدراسة تراثنا العربى الإسلامى أكثر مما شغلوا بأنفسهم، كما قال ديجا مؤلف كتاب تاريخ المستشرقين

(١) نجيب العفيفى، المستشرقون (المقدمة).

(٢) إدوارد سعيد، الاستشراق، ص ٣٩، ترجمة كمال أبو ديب.

(٣) د. محمود حمدى زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٨.

فى أوربا إذ قال: «إن المستشرقين قعدوا عن تصنيف تاريخ الاستشراق لشدة تنافسهم فيما بينهم وترصد بعضهم للبعض الآخر»<sup>(١)</sup>. ويعلق الأستاذ نجيب العفيفى على ذلك بقوله: «لدرجة أنهم تركوا مصادر الاستشراق موزعة على المجلات والحوليات وفهارس المكتبات مبعثرة وكتب التراجم الخاصة بالشرق ودوائر المعارف العامة غير مستكملة»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نجد أن موضوع الاستشراق يفرض نفسه علينا بإلحاح عند دراستنا للفكر الإسلامى ويتطلب منا وقفة تأملية جادة لبحثه ودراسة أبعاده وأهدافه، ونعرض لاتهاماته وادعاءاته بالنسبة للإسلام والمسلمين، ويجعلنا نتساءل لماذا كل هذا الحماس من جانب المستشرقين؟ هل هو من أجل خدمة التراث العربى الإسلامى، أم أن هناك أهدافا أخرى تسعى إليها الاستشراق فى حركته وعمد المستشرقون إلى تحقيقها أو إشاعتها؟ حقا لقد كان هناك بعض الدراسات من جانب المستشرقين تقترب من صفة الحياد والموضوعية والنزاهة العلمية من هؤلاء المستشرقين الذين أسهموا فى تحقيق التراث العربى الإسلامى ونشره فوضعوا المناهج للنقد والتحليل، والقواعد للتحقيق العلمى، والوسائل لقراءة المخطوطات إلا أن هذا الجهد فى النهاية وبكل المقاييس يبقى مظهرًا من مظاهر الاحتواء الثقافى الغربى والسيطرة الفكرية الأوربية على الدراسات العربية الإسلامىة التى يجب أن تكون من مهمة العرب والمسلمين، وتبحث سمعهم وبصرهم ولا تترك لغيرهم، وقد أقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى القاهرة ندوة علمية لمناقشة إعداد موسوعة الرد على المستشرقين؛ ولذلك ستكون هذه المحاولة من جانبنا لبنة فى هذا البناء ولنبدأ بمعرفة تاريخ الاستشراق وأهداف المستشرقين.

(1) Dugat: L'histoire des orientalistes, p. 11.

(2) قام الأستاذ نجيب العفيفى بمحاولة جمع جهود المستشرقين فى مجلدات ثلاث ضخمة بين فيها حركة الاستشراق وجهود المستشرقين فى دراستهم لعلوم الشرق والإسلام وسجل تاريخ هذا العلم على مدى ألف عام.



لم يعرف فى الواقع تاريخ محدد لظهور حركة الاستشراق وإن كان بعض الباحثين يشير إلى أن الغرب يؤرخ لبدء الاستشراق الرسمى بصدور قرار مجمع فيينا الكنسى فى عام ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراسى اللغة العربية فى عدد من الجامعات الأوربية، ولكننا نجد روى بارت (Rudi Paret) المستشرق الألمانى وصاحب أحدث ترجمة ألمانية لمعانى القرآن الكرىم، يميل إلى جعل بداية الاستشراق فترة زمنية وليس عامًا محددًا؛ ولذلك فقد أرخ لحركة الاستشراق بالقرن الثانى عشر الذى تمت فيه لأول مرة ترجمة معانى القرآن الكرىم إلى اللغة اللاتينية. كما ظهر أيضًا فى القرن نفسه أول قاموس لاتينى - عربى<sup>(١)</sup>.

ولكننا نجد الأستاذ نجيب العفيفى يحاول أن يرجع الاستشراق إلى القرن العاشر الميلادى بدءًا من الراهب الفرنسى جريردى أورليك الذى قصد الأندلس وتلمذ على أساتذتها فى أشبيلية وقرطبة حتى أصبح أوسع علماء عصره من لأوربيين معرفة بالعلوم الإسلامية العربية.

وإذا كان الاستشراق على هذا النحو قد بدأ من حوالى ألف عام فإن مفهوم مستشرق orientalist لم يظهر فى أوربا إلا فى نهاية القرن الثامن عشر حيث ظهر فى إنجلترا عام ١٧٧٩ ثم فى فرنسا عام ١٧٩٩ وأدرج مفهوم الاستشراق orientalism فى قاموس الأكاديمية الفرنسى عام ١٨٣٨م<sup>(٢)</sup>.

حقيقة إن الاهتمام بالدراسات العربية الإسلامية فى أوربا قد بدأ مبكرًا عندما أحس الأوربيون بقوة الإسلام وسعة انتشاره وخشوا على دينهم وبلادهم من هذا لزحف القادم والخطر الذى يهددهم فى عقيدتهم فعمدوا إلى دراسة هذا الدين الجديد ومعرفة سره العظيم والتعرف على علوم المسلمين.

---

(١) روى بارت، الدراسات الإسلامية العربية فى الجامعات الألمانية، ص ١١، ترجمة د. مصطفى ماهر، القاهرة، ١٩٦٧م.

(٢) دود نون- تراث الإسلام، ج ١، ص ٧٨، ترجمة محمد رهير السهورى، الكويت، ١٩٧٨م.

وتد نشط اللاهوتيون المسيحيون فى البحث والدراسة ومحاربة الإسلام والعمل ضده فأشاعوا الافتراءات والأكاذيب عنه واختلقوا القصص والروايات حوله، وكان لكل ما كتب عنهما أبعد ما يكون عن روح العلم والموضوعية، وقد عبر عن ذلك ساذرن بقوله: «إن الشئ الوحيد الذى يجب أن لا يتوقع وجوده فى تلك العصور هو الروح المتحررة الأكاديمية أو البحث الإنسانى الذى تميزت به الكثير من البحوث التى تناولت الإسلام فى المائة سنة الأخيرة. وقد أكد هذا المعنى البرفسور Watt<sup>(1)</sup> أستاذ الدراسات العربية والإسلامية فى بحثه عن أثر الإسلام على أوروبا فى العصور الوسطى فقال: «من الآن فصاعداً سوف نعترف بأن المؤرخين أو الرواة المسيحيين فى العصور الوسطى Moyenage نقلوا لنا صورة عن الإسلام غير حسنة Maliveillant مما أساء للحقيقة».

ثم أضاف قائلاً: «ولكن بفضل جهود العلماء والباحثين فى القرن الماضى نجد أن فكرة أكثر موضوعية قد وضعت عن الشرقيين. نحن الأوربيين غير قادرين على الموضوعية إذ أحياناً نقلل من تأثير المسلمين علينا ونقلل أيضاً من تأثيرهم على ميراثنا الثقافى».

فهذه الشهادة من باحثين أوربيين على أعمال مستشرقين غيرهم بأنهم لم يكونوا موضوعيين فى أبحاثهم، إنما دفعهم حقدهم وربما جهلهم بحقيقة الإسلام وعلوم المسلمين على إصدار الأحكام التى أساءت للإسلام، وأنقصت من قدرات المسلمين على النظر والتأمل، وأنكرت عليهم إمكانيتهم فى الفكر والتفلسف، علماً بأن التاريخ سجل للإسلام والمسلمين تفوقاً فى العلوم والفلسفة التى أقبل على

---

(1) Watt M. Watt: L'influence de l'islam sur L'Europe au college de france en Decembre, 1970.

قام البروفسور وات بإلقاء بحث عن أثر الإسلام على أوروبا فى العصور الوسطى فى مؤتمر عقد بالكوليج دى فرانس بباريس، ١٩٧٠م، باللغة الفرنسية كان قد أعده من قبل باللغة الإنجليزية، وقد تميز البروفسور وات بالموضوعية فى دراساته عن الإسلام والفكر الإسلامى، وأثبتت من خلال أبحاثه أثر هذا الفكر على العلوم الأوربية.

دراستها وتعلمها شخصيات أوربية مستنيرة لها وزنها تتخذ إزاء الإسلام موقفاً إيجابياً، ومن بين هؤلاء كان فريدريك الثاني حاكم صقلية الذى أصبح إمبراطوراً لألمانيا عام ١٢١٥. وقد كان فريدريك يعرف العربية ويتحمس للفلسفة والعلوم العربية التى كانت تدرس بشغف فى قصره فى (بالرمو)، وبذلك أصبحت فى تناول اللاتينيين. وقد أهدى هذا الإمبراطور وابنه (مايقرد) إلى جامعات بولونيا وباريس ترجمات لكتب فلسفية منقولة عن العربية، وفى عام ١٢٢٤م أسس الإمبراطور جامعة نابولى وجعل منها أكاديمية لإدخال العلوم العربية إلى العالم الغربى<sup>(١)</sup>. ولكن سرعان ما ظهر اتجاه آخر ضد الإسلام كان من دعائه المتحمسين روجر بيكون ١٢١٤-١٢٩٤ الذى كان يرى التنصر هو الطريق لمواجهة الإسلام ومحاربهته وشاركه فى هذا الاتجاه راييموند لول Raymond Lull ١٢٣٥-١٣١٦ الذى ولد فى إسبانيا وتعلم اللغة العربية، وكانت له جهود كبيرة فى إنشاء كراسى لتدريس اللغة العربية فى أوروبا لتعلم اللغة العربية، وبها يحاربون الدين الإسلامى ويعملون على تنشيط حركة التنصير. وقال بوستل ١٥٨١ الذى يعد أول المستشرقين الحقيقيين الذى شغل أول كرسي للغة العربية فى الكوليج دى فرانس فى باريس أن معرفة اللغة العربية: «تعتبر بوصفها لغة عالمية فى التعامل مع المغاربة والمصريين والسوريين والفرس والآتراك والتار والهنود، وتحتوى على أدب ثرى، ومن يجيدها يستطيع أن يطعن كل أعداء العقيدة النصرانية بسيف الكتاب المقدس، وأن ينقضهم بمعتقداتهم التى يعتقدونها، وعن طريق معرفة لغة واحدة (العربية) يستطيع المرء أن يتعامل مع العالم كله»<sup>(٢)</sup>.

وكان يتباهى بأنه يستطيع عبور آسيا وبلوغ الصين دون مترجم<sup>(٣)</sup>.

وفى القرن السابع عشر بدأ المستشرقون فى جمع المخطوطات الإسلامية، وأنشئت كراسى للغة العربية فى أماكن مختلفة، ومما هو جدير بالذكر أن قرار

(١) أولبرى، الفكر العربى ومركزه فى التاريخ، ص ٢٣٧، ترجمة إسماعيل البيطار.

(٢) رودى بارت، الدراسات الإسلامية العربية، ص ٣٩-٤٠.

(٣) إدوارد سعيد، الاستشراق، ص ٨١.

إنشاء كراسى اللغة العربية فى جامعة كمبردج ١٦٣٦م قد نص صراحة على خدمة هدفين أحدهما تجارى والآخر تنصيرى .

من هذا كله يظهر أنه كان هناك توافق بين الاستشراق والتنصير إن لم يكن هناك تماثل فى القصد بين المستشرق الأكاديمى والمبشر الإنجيلى، وعلى الرغم من ذلك نجد أن نهاية القرن السابع عشر قد شهدت تحولاً فى وجهة النظر تجاه الإسلام وأصبح ينظر إليه نظرة محايدة فيها جانب من الموضوعية شجع عليها ظهور النزعة العقلية المتحررة من سلطة الكنيسة، وقد مثل هذا التحول المستشرق ريتشارد سيمون Richard Simon الذى أعجب بالإسلام وعاداته، ظهر ذلك فى كتابه (التاريخ النقدى لعقائد وعادات أمم الشرق) ١٦٨٤م .

وقد اتهمه أرنولد Arnould بأنه كان فى حديثه عن الإسلام موضوعياً أكثر من اللازم . فنصح سيمون بأن يتأمل التعاليم الأخلاقية الرائعة للأخلاقين المسلمين<sup>(١)</sup> .

يسار فى هذا الاتجاه الجديد العديد من الباحثين المستشرقين الذين 'عجبوا' بالإسلام وقوته وسماحته .

وتوالى المحاولات العلمية الجادة للتعرف على الإسلام، وقد كان هادريان ريلاند Hadrian Reland ت ١٧١٨م أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة أوترشت بهولندا أول من كتب عن الإسلام مجلدين باللغة اللاتينية أولهما فى العقيدة الإسلامية معتمداً على مصادر عربية لاتينية، وفى الجزء الثانى قام بتصحيح الآراء الغربية التى شاعت عن الإسلام .

وقد أشار ريلاند فى مقدمة الكتاب إلى ما تتعرض له كل الأديان باستمرار من جانب خصومها، إما بعدم فهمها أو برميها بكل سوء بطريقة تنبئ عن قصد خبيث، ويضيف قائلاً أن الإسلام قد تعرض لمثل ذلك من جانب خصومه مثلما

(١) رود سون. تراث الإسلام، ج ١، ص ٦٤-٦٧ .

تعرضت الأديان الأخرى. ويؤكد ريلاند «أن المرء يصح له حقاً أن يبحث عن الحقيقة حيثما كانت»، ولكن ريلاند لم يستطع أن يستمر في موضوعه طويلاً، فأضاف «أن الأخرى هو أن يسعى المرء للتعرف على الإسلام في حقيقته لكي يحاربه بطريقة أكثر أماناً، وأشد قوة»، ويعلق الدكتور محمود زقزوق على ذلك بقوله: «إن عبارات ريلاند الأخيرة هذه لم تتجه من بطش الكنيسة التي لم تقتنع بهذه المبررات، فحرمت تداول الكتاب لأنها لم تكن تريد للحقيقة أن ترى النور حتى يطلع عليها جمهور الناس»<sup>(١)</sup>.

ويستطرد الدكتور زقزوق قائلاً: ولكن هذه الأمثلة من المحاولات الحادة في التعرف على الإسلام عن قرب وبلا أحكام سابقة، لم تستطع أن ترسخ في الفكر الأوربي تياراً عاماً، ولم تستطع أن تقضى تماماً على الصورة المشوهة للإسلام في أذهان الأوربيين والتي ما زالت عالقة بها حتى اليوم<sup>(٢)</sup>.

وفي القرن الثامن عشر بدأ الاستشراق يتخفف من سيطرة اللاهوت، وبذلك خفت حدة الاتهامات ضد الإسلام، وأعيد النظر في الاتهامات السابقة، وأصبح مسلمون في عصر التنوير أناسٌ مثل غيرهم، وكثير منهم كانوا يفضلون على الأوربيين<sup>(٣)</sup>.

وفي القرن التاسع عشر بدأ الاستشراق يتشكل كعلمٍ كما يقول بارت<sup>(٤)</sup>، وظهرت نزعة علمية نتيجة دراسة الآداب والعقائد الشرقية لذاتها مستهدفة المعرفة وحدها<sup>(٥)</sup>.

وما إن انتهى القرن التاسع عشر حتى أصبحت الدراسات الإسلامية تخصصاً قائماً بذاته داخل الحركة الاستشراقية وكان من أشهر رجالها نولدكه،

(١) الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ص ٣٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦.

(٣) تصنيف تاخت وبوروروث وترجمه د. محمد زهير السهموري، ج ١، ص ٦٨.

(٤) بارت، الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية، ص ١٧.

(٥) د. إبراهيم اللبان، المستشرقون والإسلام، ص ١٥، ملحق بمجلة الأزهر، صفر، ١٣٩٠هـ.

وجولدتسيهر، وفلهاوزن وأصبح للاستشراق مجلات ودوريات تزيد على ثلاثمائة مجلة متنوعة بمختلف اللغات. وعقدت المؤتمرات الدولية للمستشرقين للتعرف بصورة مباشرة على أعمال بعضهم البعض، ولا تزال هذه المؤتمرات تعقد بانتظام حتى الوقت الحالى. واستطاع الاستعمار أن يسيطر على بعض المستشرقين ويجندهم لتحقيق أهدافه فى الشرق، والإساءة للإسلام والمسلمين، يقول المستشرق الألمانى المعاصر فيلد: «والأقبح من ذلك أن توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه فى سبيل محاربة الإسلام والمسلمين. وقد عمل كثير من المستشرقين كمستشارين سياسيين للمستعمرات الأجنبية فى الشرق وكان هدفهم إضعاف المسلمين فى عقيدتهم حتى يسهل قيادتهم»<sup>(١)</sup>.

هذا بالنسبة للمستشرقين النصارى، أما المستشرقون اليهود فقد دخلوا المجال بوصفهم أوريين لا بوصفهم اليهودى. وقد استطاع «جولدتسيهر» فى عصره - وهو يهودى مجرى - أن يصبح من أكبر المستشرقين فى مجال الدراسات الإسلامية. ويوضح الدكتور البهى السر فى إقبال اليهود على الاستشراق لأسباب دينية وسياسية تقول أن السبب الدينى هى محاولتهم إضعاف الإسلام والتشكيك فيه، وكان ذلك حقداً دفيناً ظهر فى إسبانيا الإسلامية، حين حاول إسماعيل بن التغريلة اليهودى مهاجمة الإسلام والنيل من رسوله العظيم ﷺ، وجاهر بأنه قادر على أن ينظم القرآن فى أشعار وموشحات يتغنى بها الناس فى الأسواق ثم زاد حقه على الإسلام والمسلمين فألف كتاباً يطعن فيه الإسلام وزعم تناقض القرآن<sup>(٢)</sup>.

فالصراع الدينى والحققد على الإسلام هو الذى دفع بحركة الاستشراق إلى هذا الاتجاه المغالى فيه، ونحن لسنا بغافلين عن موقف اليهود من الإسلام وقد قال فى ذلك الله عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾ (٨٢) [المائدة]. فالعداء قديم والحققد أسود، ومن هنا نفهم أن العامل

(١) الدكتور محمد البهى، الفكر الإسلامى، ص ٣٠٠.

(٢) ابن حزم الأندلسى، رسالة الرد على ابن التغريلة اليهودى.

الدينى يهودى أم مسيحي كان دائماً وراء الاستشراق طوال مراحل تاريخه، ولم يستطع أن يتخلص منه، وكان يسعى وراء ذلك إلى محاربة الإسلام، لأنهم يدركون أن الإسلام ينكر عقائد أساسية فى اليهودية والنصرانية، ويهاجمها ويتفدهما مثل عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء، كما أنهم لم ينسوا أن الدين الإسلامى قضى على اليهودية والمسيحية فى كثير من بلاد الشرق وحل محلها<sup>(١)</sup>.

وإلى جانب ذلك كان الهدف السياسى مائلاً أمام المستشرقين فى نشاطهم وحركتهم وكانت الدول الاستعمارية تستعين بهؤلاء المستشرقين فى رسم وتنفيذ سياستهم فى البلاد المستعمرة فضمهم الملوك إلى بلاطهم أمناء أسرارهم وتراجمهم<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً كانت هناك أهداف علمية من وراء حركة الاستشراق تسعى للتعرف على الأديان، وإدراك أن الإسلام دين سماوى قريب من الأديان الأخرى، فعمدوا إلى التعرف عليه ومعرفة أصوله وسمياته، وكذلك كانت الأهداف التجارية من أهم أغراض المستشرقين الذين اهتموا بمعرفة طبيعة البلاد الشرقية الإسلامية، وأهم مواردها الزراعية والبشرية ليتمكنوا من الاستفادة من خيراتها، ومن هنا نجد أن المستشرقين فئات مختلفة كانت لهم اتجاهات وأهداف متنوعة:

١- فجماعة ظهرت فى بداية الاستشراق ولكنها لم تبق طويلاً، واختفت من الساحة، وكانت تميل إلى كتابة الأساطير والحرفات عن الإسلام و اخترعت القصص الكاذبة، وابتدعت الأباطيل المضللة التى تشوه صورة الإسلام وتغير من حقيقته.

٢- وجماعة أخرى من المستشرقين كانوا مرتزقة فى خدمة الاستعمار يعملون من أجل تحقيق الأهداف التجارية والمصالح الاقتصادية للدول الاستعمارية فكانوا أداة الاستعمار فى الشرق العربى الإسلامى.

---

(١) د. إبراهيم اللبان، المستشرقون والإسلام، ص ٣٤.

(٢) الدكتور محمود زقروق، الاستشراق، ص ٤٧، مجيب العفيفى، المستشرقون، ج ٣، ص ٤٦.

٣- وفريق آخر منهم أقبل على دراسة الإسلام تحت سمر لبحث العلمى والنظر إليه على أنه أصل العلوم الطبيعية والفلسفية وحاولوا نقل هذه العلوم إلى أوروبا للاستفادة منها<sup>(١)</sup>.

٤- وفريق رابع ابتعد عن النزاهة العلمية والموضوعية وأخذ يتشكك فى الدين الإسلامى ويلفق التهم الباطلة له ولرسوله محمد ﷺ.

٥- والفريق الخامس اتصف بالحياد والموضوعية فى كتاباته عن الإسلام والمسلمين. وكانت لهم مواقف إيجابية ومن هؤلاء فردريك الثانى حاكم صقلية وابنه مانفرد. ثم زاد عدد هؤلاء المستشرقين الذين أخذوا يبحثون بأنفسهم عن حقيقة هذا الدين بدون آراء مسبقة، وكان الهدف العلمى وراء هذا الاتجاه الموضوعى الذى أنكر على كثير من المستشرقين وانحرفهم عن النزاهة العلمية بقول مونترجمرى وات فى هذا الصدد:

«جد الباحثون منذ القرن الثانى عشر فى تعديل الصورة المشوهة التى تولدت فى أوروبا عن الإسلام. وعلى الرغم من الجهد العلمى الذى يذل فى هذا السبيل فإن آثار هذا الموقف المجافى للحقيقة التى أحدثتها كتابات القرون المتوسطة فى أوروبا لا تزال قائمة. فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنابها».

وعبر المستشرق دانييل عن هذه الحالة بقوله:

«على الرغم من المحاولات الجدية المخلصة التى بذلها بعض الباحثين فى العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب النصرانى من الإسلام، فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا منها تجرداً تاماً»<sup>(٢)</sup>.

لقد ظل العداء بين بعض المستشرقين والإسلام وعقيدته وفلسفته واضحاً فيما كتبه المستشرقون؛ حتى أننا نجد إميل دير ماجيم يعبر عن ذلك الحال بقوله: «يجب

(١) الدكتور رقرزوق، الاستشراق، ص ٧٥-٧٦، العفيفى، المستشرقون، ج ٣، ص ٦٠٥.

(٢) الدكتور إبراهيم اللبان، المستشرقون والإسلام، ص ٣٤.

الاعتراف بأن إساءة الفهم كانت من جانب الغربيين أكثر مما كانت من جانب الشرقيين... ففى الواقع أنه على أثر تلك المعارك العقلية العنيفة التى أرهق فيها الجدليون اليزنطيون الإسلام بمساوى واحتقارات - دون أن يتعبوا أنفسهم فى دراستهم - هب الكتاب والشعراء المرتزقة من الغربيين وأخذوا يهاجمون العرب، فلم تكن مهاجمتهم إياهم إلا تهماً باطلة بل متناقضة<sup>(١)</sup>.

لا يسعنا إزاء هذه المواقف المتعصبة والسيئة من المستشرقين إلا أن نركز جهودنا فى الرد على مواقفهم منا ونعرض لما زعموه عنا فنورد بكل ثقة اتهاماتهم وادعاءاتهم الواحد وراء الآخر، ونرد عليها ونفندها من خلال الفكر الإسلامى ذاته ليثبت هويته وقدراته وأصالته وإمكاناته عن طريق المواجهة الفكرية الجادة والعرض الموضوعى لأهم قضاياها ومشكلاته. وأعمق مباحثه وفلسفاته.

---

(١) د. محمد غلاب، نظرات استشرافية، ص ٩.

